



۱۷

مکتبی

متی توفیق یا نیل؟!

وقصص آخری

بقلم: شریا عبد البدیع عکاشة

روم: منی جامع



دارالمعارف

دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة: ج.م.ع.

إعداد الماكيت: أمانى والى

جلسَ سميرُ فى رُكنٍ من مَرَكِبِهِم يَتَأَمَّلُ صَفْحَةَ النَّيْلِ ، فى حِينِ كَانَ أَبُوهُ
«الرَّيْسُ كَامِلٌ» يَجْلِسُ فى رُكنٍ آخَرَ ، مُمَسِّكًا بِشَبْكَتِهِ وَبِجَوَارِهِ زَوْجَتَهُ تُسَاعِدُهُ ،
وَمَرَكِبَتَهُمْ «فَرَحَةٌ» تَعْرِفُ طَرِيقَهَا جَيِّدًا ذَهَابًا وَإِيَابًا - فَقَدْ سَارَتْ فِيهِ عِشْرِينَ
عَامًا عَمَرَهَا مُنْذُ أَنْ صَنَعَهَا «الرَّيْسُ كَامِلٌ» بَعْدَ أَنْ تَهْدَمَتْ مَرَكِبَتُهُ الْقَدِيمَةُ .

وَبَيْنَمَا تَسِيرُ «فَرَحَةٌ» فى هُدُوءٍ ، وَيَنْتَظِرُ الْعَمَ كَامِلُ رِزْقَهُ ، وَتَمَسَّكُ زَوْجَتُهُ
بِطَرَفِ آخَرٍ مِنَ الشَّبَكَةِ ، كَانَ سَمِيرٌ يَتَابَعُ تَأَمُّلَهُ فى صَفْحَةِ النَّيْلِ . فَقَدْ تَفْتَحَتْ
عَيْنَاهُ عَلَى رُؤْيَيْهِ ، ذَلِكَ النَّهْرُ ، رَفِيقُهُ ، صَاحِبُ الْخَيْرِ وَمَصْدَرُ رِزْقِهِ هُوَ
وَأَبِيهِ وَأُمُّهُ .

كَثِيرًا مَا كَانَ الصَّبِيُّ يَتَحَدَّثُ إِلَى النَّيْلِ وَيُنَاجِيهِ وَيَسْأَلُهُ : يَا نَيْلُ . . . يَا نَيْلُ
هَلْ لَكَ أَبٌ مِثْلِي ؟ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ وَمَتَى وُلِدْتَ . . . لَيْتَنِى كُنْتُ مَوْجُودًا فى
هَذَا الْيَوْمِ . . . وَهَلْ سَتَمُوتُ يَا نَيْلُ وَتَحْدُثُ الْفَرْقَةَ بَيْنَنَا . . . لَيْتَنِى لَا أَرَى
ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَيَقْطَعُ حَدِيثَهُ إِلَى النَّيْلِ صَوْتُ أَبِيهِ سَمِيرِ . . . سَمِيرُ تَعَالَى يَا وَلَدِى لِتُسَاعِدَنَا
فَإِنَّ الْخَيْرَ كَثِيرٌ وَامْتَلَأَتْ الشَّبَاكُ .

فِيهِمُ الصَّغِيرُ وَيَجْذِبُ مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ الْخِيْطَ وَيَدَا بِيَدِ خَرَجَتْ الشَّبَكَةُ وَقَدْ
امْتَلَأَتْ عَنْ آخَرِهَا بِأَنْوَاعِ السَّمَكِ .

وَمِنْ بَيْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ كَانَتْ هُنَاكَ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ الْحِجْمِ ، غَرِيبَةٌ بَيْنَ الْأَسْمَاكِ ،
نَادِرَةٌ الْمَنْظَرِ وَالْأَلْوَانِ لَمْ يَصْطِدْ مِثْلَهَا الرَّيْسُ كَامِلُ ، وَلَمَّا رَأَاهَا سَمِيرُ قَالَ :

- اللَّهُ يَا لَهَا مِنْ سَمَكَةٍ رَاحَةٍ .

وَقَالَ الْأَبُ :

- هِيا يَا أُمِّ سَمِيرٍ فَلْتَسْوِيْهَا لَنَا هِيا أَسْرَعِ .

أَسْرَعَتِ الْأُمُّ فِي فَرَحَةٍ لَتَعْدَ تِلْكَ السَّمَكَةَ الْكَبِيرَةَ وَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ عَادَ سَمِيرٌ إِلَى مَكَانِهِ وَجَلَسَتْهُ وَتَأَمَّلَهُ وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ التَفَتَتْ إِلَى أُمِّهِ وَسَأَلَهَا :

— أُمِّي مَا لَوْنُ عَيْنِي الْيَوْمَ ؟ فَأَجَابَتْ الْأُمُّ :

— عَجَبًا . . . إِنَّكَ تَسْأَلُنِي هَذَا السُّؤَالَ كَثِيرًا . . . لَوْنُهَا أَسْوَدُ يَا سَمِيرُ ، وَغَدًا أَيْضًا سَتَكُونُ سُودَاءَ فَظَهَرَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ فَقَالَتْ أُمُّهُ :

— مَا بِالْك . . . مَاذَا بِكَ يَا وَلَدِي؟ فَلَمْ يَرِدِ الصَّغِيرُ ، كَانَ يَنْتَظِرُ أَنْ تَتَغَيَّرَ إِجَابَةُ أُمِّهِ يَوْمًا . وَأَنْ تَتَلَوْنَ عَيْنَاهُ بِزُرْقَةِ النَّيْلِ وَتَصْفُو بِصَفَاءِ مَائِهِ ، مِنْ طُولِ نَظَرِهِ إِلَيْهِ وَحُبِّهِ لَهُ . فَقَالَ سَمِيرٌ فِي نَفْسِهِ : لَيْتَ بِي شَيْءٌ يَشْبِهُكَ يَا نَيْل . . . وَبَيْنَمَا هُوَ سَارِحٌ فِي أَفْكَارِهِ ، سَمِعَ أَصْوَاتًا حَوْلَهُ . . . فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا ، فَرَأَى طِفْلَيْنِ مَعَ وَالِدَيْهِمَا يَرْكَبَانِ مَرْكَبًا فِي نُزْهَةٍ ، وَيَطْلُقُ الْجَمِيعُ الضَّحَكَاتِ وَيَبْدُو عَلَيْهِمُ السَّعَادَةُ ؛ فَضَحَكَ لَمَّا رَأَاهُم يَضْحَكُونَ .

يَبْدُو أَنَّهُ لَيْسَ سَمِيرٌ وَحْدَهُ الَّذِي — يَحِبُّ النَّيْلَ فَتِلْكَ الْأُسْرَةُ أَيْضًا تَحِبُّهُ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ يَحْيِيهِمْ ، وَرَدَّ الطِّفْلَانِ تَحِيَّتَهُ .

وَاقْتَرَبَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغِيبِ وَرَسَتْ الْمَرْكَبُ بِالْمُتَنَزِّهِينَ وَاسْتَعَدَّتِ الْأُسْرَةُ لِلرَّحِيلِ وَلَكِنْ مَا هَذَا؟ فَقَدْ جَمَعُوا مُخْلَفَاتِ نُزْهَتِهِمُ النَّيْلِيَّةِ وَأَلْقَوْا بِهَا قَذِيفَةً فِي وَجْهِ النَّيْلِ ؛ لِتَتَبَعَثَ مُحتَوِيَاتُهَا عَلَى صَفْحَتِهِ . حُزِنَ سَمِيرٌ مِنَ الصَّغِيرِينَ فَقَدْ حَسَبَ أَنَّهُمَا يُحِبَّانِ النَّيْلَ مِثْلَهُ ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ لِرَفِيقِهِ : هَلْ آلَمَكَ هَذَا . . . نَعَمْ لَا بَدَ إِنَّهُ آلَمَكَ كَمَا آلَمَنِي . . . هَلْ شَعَرْتَ بِمَا أَشْعُرُ . . . وَلَمْ يَكِدْ يَكْمِلُ كَلِمَتَهُ حَتَّى هَوَتْ قَذِيفَةٌ أُخْرَى فَالْتَفَتَ إِلَى مَصْدَرِهَا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا فَقَدْ أَسْرَعَ الْفَاعِلُ بَعِيدًا .

غَضِبَ سَمِيرٌ وَقَالَ : يَا نَيْل . . . يَا نَيْلَ لَا تَشْعُرُ . . . لَا تَتَأَلَمُ . . . اغْضَبْ يَا نَيْلَ اغْضَبْ عَلَى كُلِّ هَؤُلَاءِ إِنَّ مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَغْضَبَ . . . فَلَمْ أَعُدْ أَطِيقُ



سُكُوتِكَ هَذَا. . وبكى سَمِيرُ حُزْنًا وَغَضَبًا ثُمَّ قَالَ فِي يَأْسٍ: إِنْ لَمْ تَغْضَبْ لِنَفْسِكَ فَلَنْ تَكُونَ صَدِيقِي بَعْدَ الْآنَ وَلَنْ أَحْبَبَكَ ثَانِيَةً.

ثُمَّ غَرَبَتِ الشَّمْسُ. . وَلَفَّ السَّكُونُ الْمَكَانَ. . وَهَدَأَتِ شَبَكَةُ الرِّيسِ كَامِلًا، وَرَسَتْ فَرَحَةً لَتَنَامَ وَسَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا تِلْكَ النَّسَمَاتِ الْعَذْبَةَ. . وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ جَاءَ إِلَى سَمِيرِ الْمُتَيْقِظِ صَوْتُ رَخِيمٍ هَادِيٍّ قَادِمٍ مِنَ الْأَعْمَاقِ وَقَالَ الصَّوْتُ: سَمِيرَ. . سَمِيرَ تَنْبَهْ سَمِيرَ وَابْتَسِمْ وَهَبْ فِي فَرَحَةٍ قَائِلًا. . كُنْتَ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْمَعُنِي وَتَلْفَتَ حَوْلَهُ؛ ثُمَّ جَلَسَ وَهَمَسَ إِلَى رَفِيقِهِ - وَكَُنْتَ أَنْتَظِرُكَ نَعْمَ إِنَّهُ أَنْتَ أَنْتَ النَّيْلُ الْعَظِيمُ.

وَأَجَابَ النَّيْلُ:

- نَعَمْ وَكَُنْتُ دَائِمًا مَعَكَ يَا صَدِيقِي وَحَبِيبِي وَكَُنْتُ أُرَاسِلُكَ فَقَالَ سَمِيرُ:

- تُرَاسِلُنِي كَيْفَ هَذَا؟

فَقَالَ النَّيْلُ: هَلْ تَذْكُرُ تِلْكَ السَّمَكَةَ الْكَبِيرَةَ النَّادِرَةَ. . لَقَدْ جِئْتُكَ بِهَا مِنْ مَنَابِعِي وَأَبَيْتُ أَنْ يَطْعَمَهَا أَحَدٌ إِلَّا أَنْتَ.

فَقَالَ سَمِيرُ: يَا هَ يَا نَيْلُ كُنْتَ تَسْمَعُنِي دَائِمًا وَتُرْسِلُ لِي هَدِيَّةً أَيْضًا أَنْتَ كَرِيمٌ دَائِمًا يَا نَيْلُ وَأَنَا لَمْ أَذُقْ فِي مِثْلِ حَلَاوَةِ طَعْمِ تِلْكَ السَّمَكَةِ. . وَلَكِنِّي حَزِينٌ. . حَزِينٌ فَقَالَ النَّيْلُ:

- أَعْلَمَ سَبَبَ حُزْنِكَ فَأَنْتَ آسَفٌ عَلَى حَالِي وَمَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ مِنْ تَلَوِثٍ شَدِيدٍ. . اسْمَعْ يَا سَمِيرُ لَوْ أَغْضَبْتَ أَنْتَ وَالِدَكَ فِي شَيْءٍ هَلْ تَرَاهُ يَمْنَعُ عَطَاءَهُ عَنْكَ أَوْ يَحْزَنُكَ؟ فَرَدَّ سَمِيرُ:

- لَا. . لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ.

فَقَالَ النَّيْلُ:



- وَكَذَلِكَ الْحَالُ مَعَ أَبْنَائِي جَمِيعِ الْمَصْرِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ حَوْضِي الْكَبِيرِ.
أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ ٧٠٪ مِنْ تَكْوِينِ جَسَدِكَ مَاءٌ فَأَنَا أَسْلُ وَأَسَاسُ فِي تَكْوِينِكَ أَنْتَ
وَجَمِيعُ أَبْنَائِي فَكَيْفَ لِي أَنْ أَغْضِبَ مِنْكُمْ ؟ !

فرد سمير :

- يَا لِعَظَمَتِكَ وَكَرَمِكَ . . يَا لَصَبْرِكَ عَلَيْنَا . . وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ نَهَايَةِ لِكُلِّ ذَلِكَ ،
لَقَدْ كَرِهْتُ مَا يَحْدُثُ لَكَ وَلَمْ أَعُدْ أَحْتَمِلُهُ .

فَقَالَ النَّيْلُ :

- زَيْمًا أَغْضِبَ يَوْمًا إِنْ كُنْتُ مُضْطَرًا لِذَلِكَ . وَأَطْلُقَ النَّيْلُ آهَةً . . اهْتَزَّتْ لَهَا
فَرْحَةٌ وَجَمِيعُ إِخْوَاتِهَا ، الرَاسِيَّاتِ فِي النَّهْرِ ثُمَّ قَالَ :

- انْظُرِ . . انْظُرِ إِلَى يَمِينِكَ قَلِيلًا ، وَلَمَّا نَظَرَ سَمِيرٌ قَالَ النَّهْرُ :

- هَذِهِ صَفَحَاتُ تَارِيخِي عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ، وَصُورٌ لِأَحْوَالِي مَعَكُمْ مِنْذُ زَمَنٍ . فَقَدْ
كَانَتْ لِي ثَوْرَاتِي الْعَارِمَةُ ؛ فَيَفِيضُ مَائِي عَلَى الْقُرَى الْمَجَاوِرَةِ ، وَبَعْدَهَا أَعُودٌ إِلَى
هَدُوئِي وَمَنْسُوبِي ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَلْقَى بِالْكَثِيرِ مِنْ مَخْلِفَاتِكُمْ .

فَقَالَ سَمِيرٌ :

ياه . . أَرَى الْبُيُوتَ الْغَارِقَةَ وَالزَّرْعَ . . يَا لَهُ مِنْ خَرَابٍ وَهَلَاكِ . . وَاسْتَمَرَ النَّيْلُ :

- أَمَّا الْآنَ ، وَبَعْدَ بِنَاءِ السَّدِّ ، فَقَدْ قِيدْتُمْ حُرِيَّتِي فَأَنْخَمَدْتُ ثَوْرَتِي وَغَضْبِي فِي
جَوْفِي حَتَّى تُعْكَرَ مَائِي بِالنَّفَايَاتِ وَلَمْ أَعُدْ أَلْقِيهَا خَارِجًا كَمَا كَانَ سَابِقًا .

- وَلَكِنْ مَعَذَرَةٌ فَإِنْ حُرِيَّتِكَ وَثَوْرَتِكَ كَانَتَا دَمَارًا كَبِيرًا لِلْأَرْوَاحِ وَالْمَحَاصِيلِ .

وَسَكَتَ النَّيْلُ بَرَهَةً وَغَيْرَ صَفْحَتِهِ ثُمَّ قَالَ :

- انظر هُنا فى هَذِهِ الصَّفحةِ جَيِّداً . وَأَمَعِنَ سَمِيرُ النَّظَرَ؛ فَرَأَى فى قَاعِ النَّيْلِ،
حَيَواناتٍ نَافِقَةً، وَنَفايَاتٍ لِمِصانِعَ، وَمُهَمَلاتٍ غَطَّتْ جَمِيعَ القَاعِ، وَلَمْ يَبْدُ مِنْ
القَاعِ مَوْضِعٍ لَقَدِمٍ فَقَالَ سَمِيرٌ :

- يَا هَلْ تَحْمِلُ كُلَّ تِلْكَ الْمُخَلْفَاتِ وَالْهُمُومِ بِدَاخِلِكَ يَا صَاحِبِي!! وَغَيْرِ
النَّيْلِ صَفْحَتِهِ؛ لِيَرى سَمِيرُ احْتِفالاتَ كَثِيرَةً عَلَى صَفْحَةِ النَّيْلِ. . مَرَاكِبُ مُزِينَةٌ
بِالزُّرُودِ، وَأَطْفَالٌ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ، يَحْمِلُونَ باقَاتِ الزُّهْرِ كُلَّهَا جَاءَتْ
لِلْاحْتِفَالِ بِنَهْرِ النَّيْلِ فَسَأَلَ سَمِيرٌ :

- ما تِلْكَ الاحْتِفالاتُ ؟

- إِنَّهُمْ يَحْتَفِلُونَ بِيَوْمِ الوِفاءِ . فَقَدْ جَاءَ الْكِبَارُ وَالصَّغَارُ؛ لِيَلْقُوا إِلَى باقَاتِ
الزُّهْرِ وَإِنِّى كُنْتُ أَفْضَلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ الصَّغِيرُ أَنْ يَمْدُ لى يَدِهِ يَنْتَزِعُ مِنْ فَوْقِ صَفْحَتِى
وَاحِدَةً مِنْ وَرْدِ النَّيْلِ .

- وَلَكِنْ ذَلِكَ الْاحْتِفَالُ يَعْنِى أَنَّا نُحِبُّكَ وَنُحِبُّ كَرْمَكَ .

- لَا يَخْفَى عَلَيْكَ يَا سَمِيرُ، فَأَنْتَ تَرى ما يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ الْاحْتِفَالِ، فَإِنْ
جَمِيعَ الْمَرَاكِبِ تَلْقَى إِلَى بِمُخْلَفَاتِهَا. . ! !

فَرَدَّ سَمِيرٌ وَقَدْ حَزَنَ لَمَّا رَأَى مِنْ حَزْنٍ وَأَسْفَى صَدِيقِهِ :

- لَا تَحْزَنْ يَا صَدِيقِى . لَا تَحْزَنْ لَنْ يَحْدُثَ هَذَا ثَانِيَةً . لَنْ أَدْعَ ذَلِكَ يَحْدُثُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَرَدَّ النَّيْلُ قَائِلاً :

- سَوْفَ أَحَاوِلُ الصُّمُودَ يَا سَمِيرُ سَوْفَ أَحَاوِلُ، مِنْ أَجْلِكَ وَمِنْ أَجْلِ
أَبْنائِى، وَمِنْ أَجْلِ تُوشكى .

فَتَعَجَّبَ سَمِيرٌ وَقَالَ :

- تُوشكى لم أسمع بهذا من قبل فما هو ؟
أجاب النّيل :

- إنها ابنتى يا سمير، فرع صناعى من أصل طبيعى، حفرها المصريون فى جنوب الوادى؛ لتكون حياةً جديدةً ألم تسمع عنها مُطلقاً؟ . واستمر النّيلُ
إبنى مَسْئولٌ عنها أمدّها بالماء والحياة؛ ولذا أريدُها قوياً ولا أريدُ أن يصلَ إليها
مائي إلا وهو نقي . ألا تعلم شيئاً من هذا؟.
فردَّ سمير :

- لا أنتَ تعرفُ أُننى لم تخطُ قدمى على الأرضِ إلا نادراً .
فقال النّيلُ :

لا يا سمير، لا بدَّ أن تعرفَ وتتعلمَ وتدرسَ بالمدرسة؛ لتدرى ما يحدثُ حولك
ولا بدَّ أن تذهبَ لتَرى تُوشكى .
فقال سمير :

معكَ حق فسوفَ أفعَلُ وسوفَ أحبُّها أيضاً كما أحببتك . ولكن قل لى.. ما هذه
الصفحة الأخيرة ؟
سكت النّيلُ قليلاً . ثمَّ قال :

- تلكَ هى آخر الصفحات . صورة لغضبى فى يوم الوفاء .
فى ذلكَ اليوم.. ألقى إليكم بمخلفاتكم على مرّ السنين، ليرتسم على أرضكم
مَشهدٌ بَشعٌ للتلوث، ويتعكر مائى غضباً فلا يَنفَعُ فيه تكريرٌ أو تحليةٌ، ويصيرُ
مالحاً، ومن يشربُ منه لا يَرتوى أبداً، ويجفُّ الزرعُ فلا شجرة ولا زهرة؛
ولا نخلة ولا ثمرة وتخلو الأرضُ إلا من شجرةٍ واحدةٍ هى شجرةٌ مُرة سوداء
الفروع لا حياة فيها .



فَنظَرَ سَمِيرٌ فِي الصُّورَةِ وَدَخَلَ بِهَا، فَرَأَى النَّاسَ جُوعَى وَعَطَشَى،
تَنَاثَرُوا حَوْلَ النَّهْرِ فِي أَمَلٍ، بَيْنَمَا احْتَضَنْتِ الْأُمَهَاتُ صِغَارَهُنَّ، بَعْدَمَا
خَارَتْ قُوَاهُمْ وَقَلَّتْ حَرَكَتُهُمْ، فَلَا مَرَحَ وَلَا لَعِبَ، وَرَكَنَتِ الْمَرَاقِبُ حَتَّى
احْتَرَقَتْ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ .

وَبَحَثَ سَمِيرٌ عَنِ جِيرَانِهِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ أَثَرًا، وَأَخَذَ يَتَسَاءَلُ ! ! أَيْنَ الْجِيرَانُ
وَالْأَحْبَابُ؟ . . أَيْنَ أَحْوَاضُ الزُّهُورِ وَالرِّيَّاحِينَ؟ . . وَتَذَكَّرَ الشَّجَرَةَ الْكَبِيرَةَ الَّتِي
كَانَتْ تَظِلُّ مَرْكَبَتَهُمْ إِذَا رَسَتْ؛ فَوَجَدَهَا جَفَّتْ وَصَارَتْ كَالْوَتْدِ، وَبَحَثَ عَنْ
مَرْكَبَتِهِ عَنْ «فَرَحَةٍ» فَلَمْ تَكُنْ فَرَحَةً بَلْ وَجَدَهَا حَطَامَ مَرْكَبٍ، تَرَقَّدُ بِجَوَارِهَا
سَيِّدَةُ نَحِيلَةٍ، وَاهْنَةً، لَمَّا تَأَمَّلَهَا عَرَفَ أَنَّهَا أُمُّهُ، فَخَمِنَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْقَعِيدَ ذَا
الْمَلَابِسِ الْمَمْزُوقَةِ هُوَ أَبُوهُ . . لَا . . لَا يُمَكِّنُ أَنَّ يَكُونَ الْمَجْرَى الْكَدَرُ هُوَ نَفْسُهُ نَهْرُ
النَّيْلِ . . ذَلِكَ النَّهْرُ الْعَذْبُ . . الْمَاءُ الْفَرَاتُ . . لَا أَنْتَ لَسْتَ النَّيْلُ . . وَجَرَى سَمِيرٌ
بَاكِيًا مُبْتَعِدًا عَنِ الصُّورَةِ .

فَقَالَ لَهُ النَّيْلُ :

لِمَ بُكَوْكَ يَا سَمِيرُ، لَمْ يَحْدَثْ ذَلِكَ بَعْدَ . . لَمْ يَحْدَثْ . . فَمَرْكَبُكَ مَا زَالَتْ
كَمَا هِيَ . .

وَوَالِدَاكَ بِخَيْرٍ كَمَا كَانَا دَائِمًا وَالْخَيْرُ وَفِيرٌ . انْظُرْ . انْظُرْ حَوْلَكَ وَتَأْكُدْ .

وَأَفَاقَ سَمِيرٍ مِنْ شُرُودِهِ، فَوَجَدَ النَّيْلَ نِيلاً كَمَا كَانَ، وَمَاءَهُ عَذْبًا فَرَاتًا،
وَالْأَشْجَارُ حَوْلَهُ وَأَحْوَاضُ الرِّيَّاحِينَ عَطَّرَتْ بِرَائِحَتِهَا الْهَوَاءَ .

وَهَا هِيَ الشَّجَرَةُ الظِّلِيلَةُ تَظِلُّ وَالدِّيَّةُ فَوْقَ الْمَرْكَبِ، وَمَعَهُمَا أَخُوهُ الصَّغِيرُ
إِحْسَانُ، وَرَأَى أَخَوَاتِ فَرَحِهِ فَرَحَانَاتٍ بِمَا يَحْمِلْنَ مِنْ خَيْرٍ وَفَضْلٍ . فَتَحَدَّثَ إِلَى
نَفْسِهِ «الْحَمْدُ لِلَّهِ . . كُلُّ شَيْءٍ حَوْلِي كَمَا كَانَ . . أَشْكُرُ يَا اللَّهَ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ» .



فَوَقَّفَ قَائِلًا: اطمئن يا نبيل.. اطمئن فلن تغضب أبداً، سوف أخرجُ إلى البر
وأحدث إلى الناس. ولكن أرجوك أن تؤجل تلك الغضبة، فلا يمكن أن تغضب
فى عيدك.

فَقَالَ النَّبِيلُ :

لا يَا سَمِير.. لن أستطيع الصمودَ أكثرَ من ذلك.. إلى اللقاء.. إلى اللقاء يوم
الوفاء.

— إلى اللقاء يا نبيل .

وذهبَ الصوتُ الرَّخِيمُ تَارِكًا سَمِيرًا غَارِقًا فى أَفكاره.. مَاذَا يَسَعْنِي أَنْ
أفعل.. لقد أعطيتُ النَّبِيلَ وعدًا.. هل سأستطيعُ أَنْ أفى بوعدى لَهُ هل يُمكننى
عملُ شىءٍ؟.. إن الأمرَ صعبٌ، وأكبرَ من قُدرتى.. يا إلهى ساعدنى .

فهمَ من مكانه، وحكى لأبيه وأمه حديث النَّبِيلِ إليه، وخشى الوالدان من
غضب النَّهرِ فَقَامَا يحكيان ويحذران جيرانهم وإخوانهم الصيادين، حتَّى تَجْمَعَ
حولَ سَمِيرٍ عددٌ ليسَ قليلاً.

ومرتِ الأيامُ.. وفى صَبِيحَةِ يومِ الوفاء.. استيقظَ سَمِيرٌ عَلَى رائحةٍ لماءٍ كَدِرٍ
فهبَّ من نومه وتشممَ الهواءَ؛ فملأتِ الرائحةُ أنفه، ويبدو أن إخوانه الصيادين
أيضاً قد تشمموها معه، فما هى إلا لحظة حتَّى وجدهم مُلتفينَ حوله، فقال فى
نفسه «يبدو أنه آن أوان العمل والتَّحرك».

فى حين استعدت الجماهيرُ للاحتفال، واصطفوا حولَ ضفتى النَّهرِ،
وتزاحمتِ المراكبُ المزينةُ بالزهور والأعلام فوقَ صَفْحَةِ النَّبِيلِ، تحملُ الصغارَ
والكبارَ والسائحينَ أيضاً، وهُنَاكَ.. عَلَى البر كانت منصةُ الاحتفالِ وقَّفَ عليها

كبار الرجال ومُصورون من كلِّ مكان، ووقفَ رئيس الاحتفال فوق المنصة، ليلقى بكلمته تحيةً للنهر العظيم واعترافاً بفضلِهِ علينا .

ونظرَ سمير إلى كلِّ هذا في حين تَزاحمت أمامَ عينيه صور النيل المفزعة صورة القاع بنفاياته، وصورة الغضب . فهبطَ إلى البر يتقدّم الرجال حافى القدمين وتحملَ عناءً كبيراً؛ فلم يَعتد المشى على الأرض، وسار وعيناه إلى المنصة .

وفى سيره بين الصفوف، استمع إلى طفلين يتحدّثان فقال أحدهما إلى الآخر .
- متى ينتهى الاحتفال؟ أريدُ أن أشرب .

فقال الآخر :

- اهبط لإحدى المراكب واشرب من النهر فهو أمامك .

فردَّ الأول :

- لا . لا فلابد أن يُنقى ماء النهر أولاً فهو غير صالح للشرب الآن، فردَّ عليه سمير :

سوفَ تشربُ منه غدًا دون أن تخشى شيئاً .

وفى طريقه استمع إلى رجالٍ يتحدّثون فقال أحدهم إلى الآخر :

- هل قمت بنقلِ مَصْنِعِكَ إلى مكان بعيدٍ عن النهر؟

فقال الآخر :

- لا ليس بعد وأرجو ألا يُطبق قانون البيئة الآن؛ ففي انتقالى للمنطقة الصناعية خسارة كبيرة لى .

فرد عليه سمير :

- ربما لو خسرتَ أنتَ أفضلَ من خسارتنا نحنُ جميعَ المصريين - وفي سيره
جاءته صور كثيرة . صورة المدرسة التي سَيلتحقُ بها غدا .

وصورة أخوه الصغير معه في نفسِ المدرسة .

وصورة المصانع وقد تركتِ ضفتى النهرِ لمحبي جماله ومَنظره الرائع وجاءه
صوت تُوشكى قائلة :

- سَمير . . أَلن تَزورنى قريبًا .

فردَّ عليها :

- انتَظِرِني سوفَ آتيك وموعِدتنا اليومَ وليس غداً .



شرفى ترى العالم

وَقَفَ حَسَنٌ فِي شُرْفَتِهِ ، يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى مَا وَرَاءَهَا ، يَا تَرَى أَيْنَ زَهَبْتَ أُمِّى ؟ أَهَى فِي السَّمَاءِ الْأُولَى . . أَمْ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ . . أَمْ السَّابِعَةِ .

أُمِّى . . أَيْنَ أَنْتِ . . ؟ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّكَ صَعَدْتَ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ . . هَلْ هَذَا صَحِيحٌ . . ؟ . . وَلِمَاذَا تَرَكْتَنِي وَلَمْ تَأْخِذْنِي مَعَكَ . . ؟ كُنْتُ دَائِمًا تَصْحَبِينِنِي فِي كُلِّ مَكَانٍ تَذْهَبِينَ إِلَيْهِ . . هَلْ أَغْضَبْتِكَ فِي شَيْءٍ ، لَا تَغْضِبْنِي فَلَنْ أَضْرِبَ أُخْتِي الصُّغْرَى ، وَسَأَحَافِظُ عَلَى أَدَوَاتِي وَنِظَافَةِ أَسْنَانِي . بِالْأَمْسِ حَفَظْتُ جَدُولَ الضَّرْبِ وَسَعَدَ بِي الْأُسْتَاذُ رِشَادٌ ، وَسَأَكُونُ كَمَا تُحِبُّينِ . وَلَكِنْ لَا تَتْرَكِينِي .

اهْبِطِي يَا أُمِّى . . لَقَدْ صَلَيْتُ فَرَضِي وَتَنَاوَلْتُ طَعَامِي ، وَأَنَا أَنْتَظِرُكِ هُنَا فِي الشُّرْفَةِ .

الشُّرْفَةُ . . أَرْضِيَّةٌ خَشَبِيَّةٌ ، مَسْقُوفَةٌ بِالْوَحِيشِ ، يَتَدَلَّى مِنْهَا مَصْبَاحٌ فِي فَنَوسٍ نَحَاسِيٍّ ، يَفُوحُ بَيْنَ جَنْبَاتِهَا عَطَرُ الْيَاسْمِينِ وَالْفَلِّ . تَشْبِهُهَا الْكَثِيرُ مِنَ الشُّرَفَاتِ . وَلَكِنَّهَا فَقَطْ تَطُلُّ عَلَى الْعَالَمِ حَيْثُ كَانَ مِنْ خِلَالِهَا يَرَى حَسَنٌ مَعَ أُمِّهِ الْعَالَمَ ، يَرَى النِّبَاتَ وَالْحَيَوَانَ . . يَرَى السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ، وَمَا بَيْنَهُمَا . . كُلِّ الدُّنْيَا . . حَتَّى النَّمْلَ فِي جُحُورِهِ .

كَانَ يَطْلُ مِنَ الشُّرْفَةِ أَرْبَعَةَ عَيُونٍ ، هِيَ عَيُونُ حَسَنٍ وَأُمِّهِ ، فِي كُلِّ وَقْتٍ قَبْلَ الْغُرُوبِ ، وَقَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ أُمُّهُ .

كَانَ حَسَنٌ يَجْلِسُ بِجَوَارِهَا ، وَتَشِيرُ أُمُّهُ إِلَى السَّمَاءِ ، لِتَرْسُمَ فَوْقَ السَّحَابِ خَرِيطَةَ الْعَالَمِ ، وَيَرَى حَسَنٌ الدُّنْيَا مِنْ حَوْلِهِ .
كَانَتْ تَقُولُ :

- نَحْنُ هُنَا يَا حَسَنُ فِي مِصْرَ فِي شِمَالِ إِفْرِيقِيَا، قَلْبُ الْعَالَمِ، وَفِي الشَّمَالِ
يَقَعُ الْبَحْرُ الْمُتَوَسِّطُ وَتَطُلُ عَلَيْهِ ثَلَاثُ قَارَاتٍ، إِفْرِيقِيَا وَآسِيَا وَقَارَةُ أُوْرُبَا الْبَارِدَةِ -
هَلْ تَشْعُرُ بِبُرُودَتِهَا؟!

- نَعَمْ . . وَرَائِحَةُ الْجَوِّ نَقِيَّةٌ جَدًّا.

- هَذَا صَحِيحٌ وَذَلِكَ لِاسْتِمْرَارِ الْمَطَرِ الَّذِي يُنْقِي الْجَوَّ هُنَاكَ . . وَهَنَا بَارِيسَ
حَيْثُ بُرْجُ إِيْفَلْ .

- اللَّهُ . . تُحْفَةٌ يَا أُمِّي .

وَكَانَتْ أُمُّهُ تَمْسِكُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى، لِتَشِيرَ بِهَا . . وَهُنَاكَ فِي الْيَسَارِ يَقَعُ
الْمَحِيطُ الْأَطْلَنْطِيُّ الَّذِي يَفْصِلُ أُوْرُبَا وَإِفْرِيقِيَا عَنِ الْأَمْرِيكَتَيْنِ، وَفِي أَمْرِيكََا
الْجَنُوبِيَّةِ تَكُونُ الْبِرَازِيلُ هَلْ تَرَاهَا؟ . إِنَّهَا بِلَادُ الْبَنِّ وَالْكُرَةِ، وَهَبَّ حَسَنٌ وَاقِفًا . .
أَتَرَيْنِ الْإِسْتَادَ يَا أُمِّي . . إِنَّهُ جَمِيلٌ وَوَاسِعٌ وَيَكَادُ يَنْفَجِرُ بِالْمَشَاهِدِينَ .

وَكَانَتْ أُمُّهُ تَضْحَكُ وَتَضْمُهُ إِلَيْهَا بَعْدَ كُلِّ رَحْلَةٍ طَوِيلَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ .
أُمِّي . . لَقَدْ اسْتَطَاعَ أَبِي أَخِيرًا أَنْ يَصْنَعَ فَطِيرَةَ الْفَوَاكِهِ الَّتِي أَحْبَبَهَا أَنَا
وَحَسَنًا، وَلَكِنَّهُ لَنْ يُوَاصِلَ مَعِيَ أَجْمَلَ الْأَشْيَاءِ، أَحَادِيثُنَا يَا أُمِّي وَرِحَالَتُنَا
عَبْرَ السَّمَاءِ .

وَكَانَتْ تَشِيرُ بِيَدِهَا الْيُمْنَى وَتَقُولُ . . وَهُنَاكَ فِي الشَّرْقِ قَارَةُ آسِيَا وَفِيهَا مُعْظَمُ
الْبِلَادَانِ الْعَرَبِيَّةِ وَفِيهَا الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثُ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسْجِدُ الرَّسُولِ وَالْمَسْجِدُ
الْأَقْصَى وَفِي أَقْصَى الشَّرْقِ تَقَعُ الْهِنْدُ، وَيَمْدُ حَسَنٌ يَدَهُ بِسُرْعَةٍ لِيَقْطِفَ مِنْ ثِمَارِ
الْمَاجُوجِ الَّتِي يَحْبِبُهَا وَالَّتِي تَمْتَلِئُ بِهَا أَرْضُ الْهِنْدِ، وَيُعْطَى ثَمَرَةً لِأُمِّهِ الَّتِي
تَحْبِبُهَا أَيْضًا .

فَانْتَبَهَ حَسَنٌ إِلَى أَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بَيْنَمَا يَقِفُ وَحِيدًا فِي الشَّرْفَةِ، فَقَالَ :



- هَلْ تَسْمَعِينِنِي يَا أُمِّي ، كُنْتَ تَقُولِينَ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ دُعَاءَنَا . وَأَنْتِ عِنْدَ
اللَّهِ فَلَا بَدَّ أَنْكَ تَسْمَعِينِنِي . . هَيَّا اهْبِطِي يَا أُمِّي . . إِنْ لَمْ تَهَبِطِي ، فَلَنْ أَذَاكَ
دُرُوسِي وَلَنْ أَتَنَاوَلَ طَعَامِي ، وَلَنْ أَغْسَلَ أَسْنَانِي أَبَدًا أَبَدًا . . لَا أَصَدِّقُ أَنْكَ
تَسْمَعِينِنِي وَلَا تُجِيبِينَ نِدَائِي .

وَبَدَأَ حَسَنٌ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا - كَانَ ذَلِكَ حَالِ حَسَنٍ كُلَّمَا خَلَا إِلَى شُرْفَتِهِ
وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَفْعَلُ ، قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مَوْعِدَ جَلْسَتِهِ مَعَ أُمِّهِ .

وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ شَعَرَ بِنَسْمَةٍ لَطِيفَةٍ ، تُدَاعِبُ شَعْرَهُ وَخَدَيْهِ حَتَّى جَفَفَتْ
النَّسْمَةُ دُمُوعُهُ بِمَنْدِيلِهَا الْمَعْطَرِ ، وَرَأَاهَا أُمَامَةُ . . طَيْفُهَا . . رُوحَهَا تَرْتَدِي قِطْعَةً مِنْ
السَّمَاءِ ثَلْجِيَّةٍ . . لَا يَعْرِفُ . . قِطْنِيَّةٍ . . رُبَّمَا سَعَدَ حَسَنٌ بِرُؤْيَيْهَا وَنَزَلَتْ عَلَى غَيْرِ
مُفَاجَأَةٍ فَقَدْ كَانَ يَنْتَظَرُهَا .

- أُمِّي . . لِمَاذَا ذَهَبْتَ دُونَ أَنْ أَقْبَلَكَ ، لَقَدْ ذَهَبْتَ حِينَ كُنْتُ فِي الْمَدْرَسَةِ . .
أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَغْضِبَ مِنْكَ يَا أُمِّي . . هَيَّا ادْخُلِي .

- هَلْ جِئْتُ لَتَأْخِذَنِي مَعَكَ .

- أَوْحَشْتَنِي يَا أُمِّي . . وَأَوْحَشْتَنِي الرِّحَالَاتِ وَالْحِكَايَاتِ .

- إِنَّنَا لَمْ نَصْعِدْ إِلَى الْقَمَرِ بَعْدَ . . وَقَدْ وَعَدْتَنِي .

وَأَخِيرًا قَالَتْ :

- وَهِيَ أَنَا أَفِي بُوْعْدِي .

وَصَحْبَتُهُ وَرَاءَهَا عَبْرَ الْهَوَاءِ ، وَمِنْهُ إِلَى الْفَضَاءِ ثُمَّ إِلَى الْقَمَرِ ، وَهَبَطَا عَلَى
سَطْحِهِ . . تَجَاوَيْفَ . . وَتَتَوَاتُ صُخُورَ وَرَمَالٍ . . لَا هَوَاءَ وَلَا مَاءَ وَلَا نَبَاتَ ، . .
لَا حَيَاةَ .

فَقَالَ حَسَنٌ :

- أَهَذَا هُوَ الْقَمَرُ.. لَمْ أَكُنْ أَظْنَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْعَتَمَةِ وَالظَّلَامِ كُنْتُ أَظْنُهُ كَرَّةً لَامِعَةً، تَسْكُنُهُ كَائِنَاتٌ نَوْرَانِيَّةٌ مُضِيئَةٌ وَلَمَّا تَجْمَعُ ذَلِكَ كُونَ ذَلِكَ الْقُرْصِ الْفُضَى الَّذِي نَرَاهُ يَضِيءُ لَيْلِنَا عَلَى الْأَرْضِ .

لَا إِنِّي أَرَى الْقَمَرَ قَمَرًا مِنْ شُرْفَتِنَا.. فَهِيَ تَهْبِطُ فَالْقَمَرُ مِنْ هُنَاكَ.. أَجْمَلُ بِكَثِيرٍ .

وَلَمَّا هَبَطَ.. ذَهَبَتِ الشَّمْسُ لِيَدْخُلَ اللَّيْلُ، وَذَهَبَتِ الْأُمُّ لِيَنَامَ الصَّغِيرُ وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي :

لَمْ يَبْقَ فِي خَيَالِهِ مِنْ تِلْكَ الرَّحْلَةِ إِلَّا شُعُورٌ بِالْفَرَحَةِ وَالرَّاحَةِ لَمْ يَعْلَمْ سَبَبَهُ . وَفِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْفَتَاحُ.. صَحَا مَعَ الشَّمْسِ، سَاعَدَ أُخْتَهُ فِي مَلْبَسِهَا وَسَاعَدَ أَبَاهُ فِي إِعْدَادِ الْفُطُورِ، ثُمَّ انْتَهَتْ جَمِيعُ الْأَعْمَالِ بِحُبٍّ وَجَمَالٍ حَيْثُ قَالَتْ الْمُدْرَسَةُ : حَسَنُ الْيَوْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَمْسِ .

- وَقَالَ الْمُدْرَسُ : حَسَنَاءُ الْيَوْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَمْسِ .

وَلَمَّا جَاءَ مُوْعِدُ الشُّرْفَةِ، أَلْقَى حَسَنُ نَظْرَةً عَلَى الْأَشْيَاءِ فِي غُرْفَتِهِ، حَتَّى لَا تَقَعَ عَيْنُ أُمِّهِ عَلَى شَيْءٍ تَكْرَهُهُ، نَعَمْ.. الدُّوَلَابُ مَرْتَبٌ، وَأَيْضًا كُتُبُهُ وَمَكْتَبُهُ وَمَلَابِسُهُ، أَمَّا الْوَاجِبُ فَقَدْ أَتَمَّهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

وَذَهَبَ لِيَنْتَظَرَهَا - أُمِّي هِيَ أَنَا هُنَا فِي انْتِظَارِكَ..

هَلْ أُنَادِي حَسَنَاءَ لَتُشَارِكُنَا.. لَا بَدَّ أَنَّهَا مُشْتَاقَةٌ إِلَيْكَ مِثْلِي .

- لَا يَا حَسَنُ فَلَنْ تَفْهَمَ وَرُبَّمَا خَافَتْ وَبَكَتْ - قُلْ لِي كَيْفَ حَالُكَ هَلْ تَشْكُو مِنْ شَيْءٍ؟ هَلْ يَنْقُصُكَ شَيْءٌ؟

- ينقضي الكثير يا أمي . ولكن حسناء يا أمي تبكي كثيرا ، وكثيرا
مألا أستطيع أنا ولا أبي أن نفعل لها شيئا . وأبي أيضا لازال يتأخر في
عمله .

أنا أعلم ذلك ، كما أعلم أنك سوف تتخطى هذه الفترة الصعبة فأنت ولد
ذكي ، سوف تعتمد على نفسك وتساعد أختك . أليس كذلك يا حسن ؟ سكت
حسن سكوتا فهمت منه أمه أنه سوف يفعل وأنه قادر على ذلك .
وقال حسن :

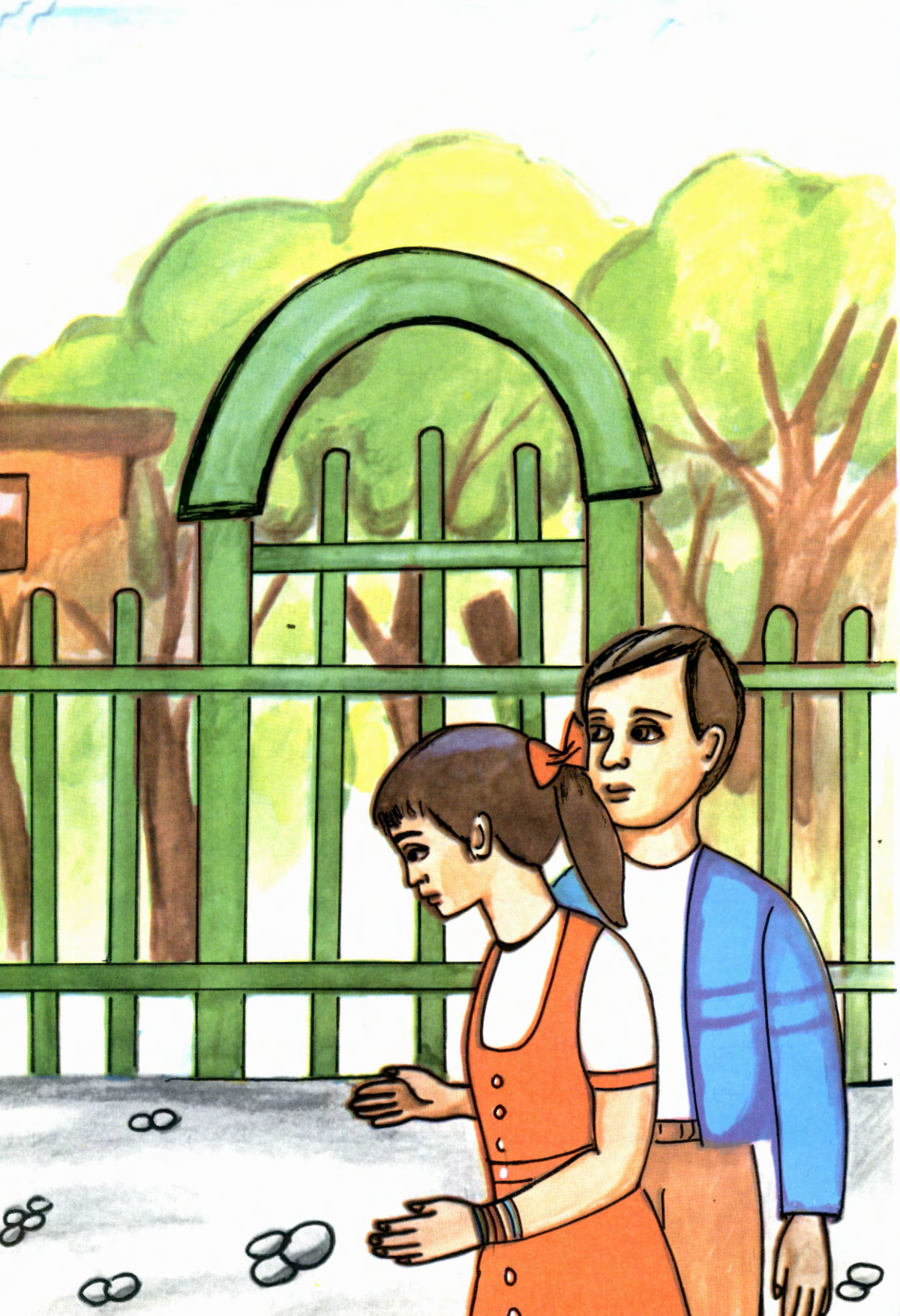
- ولكن حسناء يا أمي ، ماذا أفعل إنها تحيرنا معها ؟
- عندئذ اذهب أنت وحسناء إلى صديقتي نعمة في نفس شارعنا ،
هل تذكرها ؟

- نعم أذكر . وتسكن البناية التي في وسط الحديقة الكبيرة ، عند أول
الشارع ، لقد كانت تزورنا كثيرا .

- وليكن ذلك الآن ، فإنه وصل إلى سمعي بكاء حسناء ، وقد تحير والدك
معهما ، فهيا قبل أن تغيب الشمس ، ولا تتأخر .

انتهى اللقاء ، ودخل حسن إلى رفيقيه وحسد نفسه بأن نعم برؤية والدته وهم
أن يفرحهما بالخبر لولا أنه خشي ألا تكون لأمه رغبة في ذلك وأنها تحب أن
تكون سرا بينهما ، فقال لنفسه : (سوف أسألها المرة القادمة إن كنت أقول
لوالدي أم لا) .

- ثم استأذن والده في الخروج ، بعد أن عرض عليه فكرة أمه ، ورحب والده
بالفكرة ، لقد كان يتمنى لو أن أحدا حمل عنه بعضا من عبء الصغيرة .



وَجَلَسَ الأبُّ بُرْهَةً يَحْمَدُ لَوْلَدِهِ حُسْنَ تَصَرُّفِهِ وَفَطْنَتَهُ رَغَمَ صَغَرِ سِنِهِ وَأَنَّهُ فِي تَصَرُّفِهِ يَشْبَهُ كَثِيرًا أُمَّهُ ، وَتَذَكُّرَهَا وَمَلَامَحَهَا ، وَتَمْنَى لَوْ كَانَتْ مَعَهُ ، لِيَكْمَلَا مَعًا مَا بَدَأَهُ مِنْ تَرْبِيَةِ الصَّغِيرِينَ تَرْبِيَةً حَسَنَةً .

ثم دعا الله أن يعينه على ذلك فهو نعم المولى ونعم النصير .

تَرَكَ الصَّغِيرَانِ وَالذَّهْمَا ، لِيَذْهَبَا لِلْسَيِّدَةِ نِعْمَةً . . وَهُنَاكَ . . وَقَفَا إِلَى بَوَابٍ كَبِيرَةٍ حَدِيدِيَّةٍ خَضِرَاءَ ، نَظَرَ حَسَنٌ مِنْ بَيْنِ قُضْبَانِهَا ، لِيرَى حَدِيقَةً غَنَاءً وَأَوْلَادَ كَثِيرِينَ ، يَرْتَدُونَ مَلَابِسَ الْمَنْزِلِ وَيَلْتَفُونَ حَوْلَ سَيِّدَةٍ تَبْدُو أَنَّهَا هِيَ السَيِّدَةُ نِعْمَةً . تَحِيرُ حَسَنٌ لَمَّا سَمِعَهُمْ يَقُولُونَ لَهَا جَمِيعًا مَآمَا ، فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّهَا أُمُّ لِكُلِّ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْأَبْنَاءِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ سَرِيعًا إِلَى أَعْلَى ، لِيرَى لَوْحَةً كَبِيرَةً أَعْلَى الْبَوَابَةِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا (دَارُ الْأُمْلِ لِرَعَايَةِ الْإِيْتَامِ) . . الْإِيْتَامُ . . ؟ وَهَلْ هُوَ وَحَسَنَاءُ مِنَ الْإِيْتَامِ ؟ . . لَا . . لَسْنَا مِثْلَهُمْ . . لَسْنَا إِيْتَامَ .

فَاسْرَعَ يَأْخُذُ بِيَدِ أُخْتِهِ قَبْلَ أَنْ يُلَاحِظَ وَجُودَهُمَا أَحَدٌ ، وَانْتَبَهَتْ لِحَرَكَتِهِ السَيِّدَةُ نِعْمَةً فَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِمَا بِخَطَا سَرِيعَةٍ وَضَحْكَةٍ جَمِيلَةٍ ، لَمْ يَسْتَطِعْ حَسَنٌ مَعَ ذَلِكَ فَرَارًا ، وَقَالَتْ :

— تَعَالِ يَا حَسَنُ وَأَنْتِ يَا حَسَنَاءُ ، أَخِيرًا تَذَكَّرْتُمَا صَدِيقَتَكُمَا نِعْمَةً . وَفَتَحَتْ بِنَفْسِهَا لِهَمَا الْبَابَ وَضَمَّتَهُمَا إِلَيْهَا فِي حُبٍّ وَحَنَانٍ كَبِيرِينَ تَذَكَّرَا مَعَهَا ضَمَّةَ أُمِّهِمَا الْحَبِيبَةِ .

وَالْتَفَّ حَوْلَهُمَا الْأَوْلَادُ بِتَرْحِيبٍ كَبِيرٍ وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا زَائِرِينَ مُنْذُ سِنِينَ وَقَدَمْتَهُمَا السَيِّدَةُ نِعْمَةً — وَكَانَتْ مَدِيرَةَ الدَّارِ — إِلَى الْجَمِيعِ وَأَشَارَتْ إِلَى الْأَوْلَادِ لِلتَّعْرِيفِ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَتَقَدَّمُوا . . أَنَا إِسْمَاعِيلُ . . ، وَأَنَا إِيْهَابُ . . وَأَنَا رَوْضَةُ وَأَنَا نَادِيَّةُ . . وَأَنَا مُحَمَّدُ . . وَسَكَتَ الْجَمِيعُ فَقَالَ أَحَدُهُمْ وَأَنَا سَامِحُ .



ثُمَّ رَأَتْ نِعْمَةً مِنْ مَرْحِ الصَّغِيرَيْنِ وَضَحْكُهُمَا مَا طَمَأْنَهَا، فَتَرَكْتُهُمَا مَعَ الْأَوْلَادِ فِي جَوْلَةٍ حَوْلَ الْمَكَانِ .

- هُنَا حُجْرَةُ الْمَكْتَبَةِ، فَرَأَاهَا حَسَنٌ وَاسِعَةً وَمَلِئَةً بِالْكَتَبِ الْقَدِيمَةِ .

- أَلَيْسَ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ عَنِ الْكُومْبِيُوتَرِ أَوْ الْعِلْمِ الْحَدِيثَةِ، إِنَّ مَكْتَبَتَكُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَمِنْهَا الْكُومْبِيُوتَرُ .

- نَعَمْ . نَحْنُ نَسْمَعُ أَنَّهُ دَاخِلَ مَكْتَبَاتٍ كَثِيرَةٍ . فَنَحْنُ عِنْدُنَا (تَلْفِزِيُون) .

- وَمَا هَذَا .

- هَذِهِ هِيَ مَكْتَبَتُنَا السَّمْعِيَّةُ أَيْ شَرَايِطُ مُسَجَّلٍ عَلَيْهَا كُتُبٌ مُخْتَلِفَةٌ وَحِكَايَاتٌ وَقِصَصٌ .

- وَمَا حَاجَتَكُمْ إِلَى الشَّرَايِطِ إِنْ كَانَ لَدَيْكُمْ كُتُبٌ تَقْرَؤْنَهَا؟ وَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ .

رَأَى حَسَنُ الدَّارَ خَالِيَةً مِنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ إِلَّا أَنَّهَا اِمْتَلَأَتْ بِالْحُبِّ وَالْوَدِّ حَتَّى أَنَّ الْأَوْلَادَ لَمْ يَشْعُرُوا بِنَقْصِ الْأَشْيَاءِ مِنْ حَوْلِهِمْ .

طَافَ الْأَوْلَادُ بِالضَيْفِينَ الْمَكَانَ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ مَقَامُهُمْ فِي أَجْمَلِ مَكَانٍ وَهِيَ الْحَدِيقَةُ الْغَنَاءُ ذَاتُ الْأَزْهَارِ وَالْأَشْجَارِ الْجَمِيلَةِ الرَّائِعَةِ حَتَّى أَنَّهَا حَوَتْ الْكَثِيرَ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَزْهَارِ النَّادِرَةِ، وَفِيهَا ثَلَاثُ نَخَالَاتٍ مُثْمِرَاتٍ كَانَتْ كُلُّ مِنْهُنَّ يَتِيمَةً فِي نَوْعِهَا وَطَرَحِهَا، تَطْعَمُهُمْ جَمِيعًا بِبِلْحَنِ اللَّذِيزِ .

وَأَخِيرًا جَلَسَ الْأَوْلَادُ بِالضَيْفِينَ فِي دَائِرَةٍ يَتَسَامَرُونَ وَيَحْكُونَ لِبَعْضِهِمُ الْحِكَايَاتِ وَالنَّوَادِرَ وَجَاءَ دَوْرُ حَسَنٍ - وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ . فَوَقَّفَ حَتَّى يَرُوهُ وَلَمْ يَجِدْ إِلَّا حِكَايَاتِ الشُّرْفَةِ وَرِحَالَيَتَهَا؛ فَرَسَمَ خَرِيطَةً فَوْقَ السَّحَابِ وَاجْتَهَدَ حَتَّى

رآها الأصحابُ، ثُمَّ التفوا حوله أَكْثَرَ وانجذبَ انتباهُ إِسْمَاعِيلَ وكانا
يَجْلِسَانِ بَعِيدًا فاقتربا أَكْثَرَ فأكثرَ حتَّى رأيا الخريطةَ معهم.

ثُمَّ أَشارَ حَسَنٌ: نَحْنُ هُنَا فِي مِصرَ فِي إِفْرِيقِيا قَلْبَ العالَمِ وَفِي الشَّمالِ يَقَعُ
الْبَحْرُ المُتَوَسِّطُ الَّذِي يَفْصِلُ قَارَتَنَا عَن قارَةِ أُورُوبَّا الباردة. وَبينما يَتَحَدَّثُ حَسَنُ
عَن أُورُوبَا وَمناخِها بِأَمطارِها وَجوَّها اصطَكَتْ أَسنانُهم، وَلَمَّا شَعَرُوا بِالبرْدِ،
أَحسَّ حَسَنُ أَنَّ أَصحابه يَسْتَمْتَعُونَ بِرِحالَتِهِ كَمَا كانَ يَسْتَمْتَعُ هُوَ مَعَ أُمِّه،
وَتَذَكَّرَها لِلحِظَةِ إِذْ كانَتْ سَببًا فِي مُتَعَةٍ رَفاقِهِ أَيضًا .

وَلَمَّا شَعَرَ بِاسْتِمْتاعِ الرِّفاقِ اِزْدادتْ نَشوؤُهُ وَفَرَحَتُهُ، فَاعتَدَلَ فِي مَكانِهِ
لِإِواصلِ الرِّحْلَةِ .

وَهُنَاكَ فِي أَقصى الشَّرْقِ تَكُونُ الهِندُ بِسِوَلِها وَغاباتُها وَحيواناتُها، وَدِيانَتُها
المُتَعَدِّدَةُ.

قالَ إِسماعيلُ :

- إِنَّ رائِحَةَ البِهارِ تَمَلُّهُ أَأنُوفُنا.

وقالَ حَسَنُ :

- هَلْ تَرَوْنَ ؟ . إِنَّ صُورَ المِهاثِما غانِدى مُحَرَّرَ الهِندِ مَعلِقَةٌ فِي كُلِّ مَكانٍ .
بِرَغمِ مَرُورِ عِشْراتِ السَّنِينِ عَلى تَحْريْرِ الهِندِ .

واسْتَمَرَّتِ الحِكاياَتُ ، وَمرَّتِ الأَواقِطُ أَكْثَرَ مِن سَعِيدَةٍ .

لَكنْ تَنَبَّهَ حَسَنُ إِلى أَنَّ سَامِحَ وَزِينَبَ لا يَشْتَرِكُانِ مَعَهُمُ فِي ضَحْكَهِمَ ، فَسأَلَهُما :

- لِمَذا لا تَشْتَرِكُانِ مَعَنَا أَلا تَرِينَ خَريطَتِي يا زِينَبُ ؟ فَأسْرَعَتْ رُوضَةٌ تَشِيرُ إِلى
حَسَنٍ بِإِشارةٍ فَهَمَّ مِنْها أَنَّ سَامِحَ وَزِينَبَ لا يَبْصُرانِ . وَسَكَتَ حَسَنُ ، فَلَمْ يَتَوَقَّعْ
ذَلِكَ وَلَمْ يَدْرِ مَذا يَقُولُ ثُمَّ قالَ الصِّغارُ :

- هيا يا حسن أكمل الرحلة .

فَقَالَ حَسَنُ :

- أشكركم عَلَى حُسْنِ ضيافتكم، فَقَدْ تَأَخَّرْنَا جَدًّا وَغَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَوَاصِلَ رَحَلَتْنَا، هيا يا حسناء .

وَاصْطَحَبَ حَسَنُ أُخْتَهُ وَذَهَبَ فِي طَرِيقِهِ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِ سَامِحٍ وَزَيْنَبُ وَكَيْفَ يَجْعَلُهُمَا يَرِيانَ خَرِيطَتَهُ .

لَمْ يَنْمِ حَسَنُ لَيْلَتِهِ إِلَى أَنْ إِهْتَدَى إِلَى فِكْرَةٍ، وَأَسْرَعَ يُنْفِذُهَا وَأَحْضَرَ خَامَةً الْإِسْفَنْجَ، بِطُولِ مِترٍ وَعَرَضَ مُمَاثِلَ وَلَهَا سُمْكٌ ثَلَاثَ سَنَتَيْمَتَرَاتٍ وَرَسَمَ عَلَيْهَا خَرِيطَةَ الْعَالَمِ وَأَسْتَخْدَمَ الْمَقْصَّ وَلِيَصْنَعَ خَرِيطَةً مُجَسِّمَةً يَكُونُ فِيهَا الْيَابِسُ بَارِزًا وَالْمَاءُ غَائِرًا .

وَفِي وَقْتِ الْعَصْرِ - مَوْعِدِ الشَّرْفَةِ - قَصَدَ دَارَ الْأَصْحَابِ لِيَمْسُكَ بِيَدِ سَامِحٍ فَيَرَى سَامِحًا وَزَيْنَبَ بِيَدِهِمَا الْعَالَمَ وَفَرَحَا لَمَّا شَعَرَا بِبُرُودَةِ الْجَوِّ فِي كَالِيفُورْنِيَا بِأَمْرِيكَا وَطَرَبَا لَمَّا سَمِعَا الْمَوْسِيقَى الْأَسْبَانِيَّةَ .

وَسَأَلَ سَامِحٌ صَدِيقَهُ الْجَدِيدَ :

- وَمَنْ أَيْنَ لَكَ كُلُّ تِلْكَ الْمَعَارِفِ ؟

- مِنْ أُمِّي

أَنْتَ مُحَظُوظٌ . . . هَلْ تَحْكِي لَكَ كُلَّ يَوْمٍ عَنْ بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادَانِ ؟

كَانَتْ تَحْكِي لِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ .

- وَالْآنَ . . أَلَمْ تَعُدْ تَحْكِي لَكَ ؟

- الْآنَ هِيَ عِنْدَ اللَّهِ .



قَالَ حَسَنٌ تِلْكَ الْعِبَارَةُ كَاتِمًا بَكَاءً فِي نَفْسِهِ مِمَّا غَيَّرَ مِنْ نُبْرَةِ صَوْتِهِ فَتَنَبَّهَ
لِذَلِكَ رَفِيقُهُ سَامِحٌ فَمَدَّ يَدَهُ يَتَحَسَّسُ وَجْهَهُ حَتَّى مَسَحَ بِيَدِهِ دُمْعَاتٍ فَرَّتْ مِنْ
عَيْنِي حَسَنٌ ثُمَّ قَالَ لَهُ :

- أَنْتَ بَرِعْتَ ذَلِكَ لَكَ حِظٌّ أَوفَرَ مِنْ كَثِيرِينَ ، فَلَقَدْ هَنَيْتَ بَرُوءِيَّ وَالِدَتِكَ
وَالْعَيْشَ مَعَهَا وَسَعِدْتَ بِحِكَايَاتِهَا ، أَمَا أَنَا فَلَمْ أَرِ لَّا أَبِي وَلَا أُمِّي .
فَقَالَ حَسَنٌ :

- هُونٌ عَلَيْكَ فَكُلَّ رِحْلَاتِي وَحِكَايَتِي مَعَ أُمِّي الْآنَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَنَا وَأُخْتِي
أَخَّانَ لَكَ ، وَغَيْرَ حَسَنٍ مِنْ مَوْضُوعِ الْحَدِيثِ فَسَأَلَهُ :

لِمَاذَا اخْتَرْتَ يَا سَامِحُ الْبَقَاءَ هُنَا ؟ اعْذِرْنِي فِي سُؤَالِي . أَلَيْسَ لِلْمَكْفُوفِينَ
دَوْرٌ خَاصٌّ ؟

- فَرَدَّ سَامِحٌ :

- كُنْتُ أَنَا وَأُخْتِي زَيْنَبُ جِيرَانًا لِلسَّيِّدَةِ نَعْمَةٍ وَتَوَفَّى أَبُونَا قَبْلَ مَوْلَدِي وَمَاتَتْ
أُمِّي بَعْدَهُ بَعَامِينَ .. هَكَذَا قَالُوا لَنَا ، وَأَخَذْتَنَا السَّيِّدَةُ نَعْمَةً ؛ لِتَرْعَانَا وَنَعِيشُ هُنَا
مَعَ الْمُبْصِرِينَ ، قَدْ رَأَتْ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْزِلُنَا عَنْكُمْ ، وَهِيَ تُوفِّرُ لَنَا مَا تَسْتَطِيعُ .

فَقَالَ حَسَنٌ :

لَقَدْ رَأَيْتُ مَكْتَبَتَكُمْ السَّمْعِيَّةَ ، إِنَّهَا يَنْقُصُهَا الْكَثِيرُ وَلَكِنَّا سَوْفَ نَعْمَلُ مَعًا ،
لِنُوسِعَهَا وَنَقْضِيَ مَعًا أَوقَاتًا جَمِيلَةً وَمُفِيدَةً .

وافتقدت الجماعة الصديقين فأقبلوا نحوهما وقال محمد :

هَيَّا يَا بَطْل . . . آ نَ الْأَوَانُ لِنَسْتَكْمِلَ رِحْلَاتِنَا . . . وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ :

- فلتغص بنا فى أعماق البحر فأنا أسمعُ عن عجائبه ما يملأُ الآذان . وهلَّـلَ الجميعُ للفكرة . نعم يا حسن . إنها فكرةٌ رائعةٌ .

هيا . هيا .

وقالتُ أخته حسناء :

هيا يا حسن إن حكايتك جميلةٌ ، لماذا لا تحكيها لى فى منزلنا ؟

ردَّ حسن :

- أنت لا تُعطينى فرصةً لذلك فأنتِ دائمةُ البكاء .

فقالت :

- لا . لن أبكى بعدَ الآن إن كنت تحكى لى من هذه القصص الحلوة .

- هيا يا حسن ابدأ الغوص . هيا . هيا .

وسكتَ حسنٌ لحظةً ، فإنَّ أمه لم تغص به فى البحر ، ولا يعرفُ عن الغوص سوى اسمه ، ولا يدري كيفَ يكونُ .

لكنه لم يستطع أن يَبوحَ بذلكَ للأصدقاء ، فقد كانوا مُتحمسين جداً لحكاياته ، وسعدوا بها ، ولا يُمكن أن يخذلهم أبداً ثمَّ قالَ لهم :

- ليكنَ ذلكَ فى وقتٍ آخر إن شاءَ الله فقد حانَ موعدُ ذهابنا

قالَ حسنٌ تلكَ العبارةَ وفى ذهنه أنه سوفُ يلتقى بأمه ويغوصان معا ثمَّ يأتى

ليحكى لهم ما حدث . ولكن هل يحدثُ ذلكَ ؟

وفى الغد ، فى موعدِ الشُّرفة ، وقفَ وكلُّه شوقٌ ، فلديه أخبارُ تهم أمه ، لقد

أصبحَ أبوه يُبكرُ فى موعدِ عودته من العمل . ويقومُ ببعضِ أعماله بينما يجلسُ

معه هو وحسنا . كما أنَّ حسناء بدأت تُرتب البيت .

ولما هبّطت سألته بعتابٍ رقيق :

- لماذا لم تأتِ للشُّرفةِ يومَ أمسٍ ، فهذه هي المرة الأولى التي تخلف موعِدًا فحكى لها عن السيِّدةِ نعمة وكرمها وحُبها له ولأخته ، والأصحاب ، كما حكى لها عن حكايته لهم وعن سَامِحٍ وزَيْنَب - أصدقائه الجدد - فقالت :

- إِنَّ ذَلِكَ يُسعدني كثيرًا حتَّى وإن شَغَلَكَ عَنِي . . ثُمَّ قَالَ :

- أُمِّي . . أريدُ الغُوصَ في البحرِ الأحمر؛ فهذا ما يطلبُه أصدقاؤى وأنا لا أريدُ أن أخذلهم ، كما إننى أسمعُ أَنَّ جمالَ قاعِ البحرِ يَفوقُ أجملَ بقاعِ الدنيا . فردت أُمّه :

- هُنَاكَ أشياء كثيرة يُمكنك الاستعانة بها للغوص ، إن لدى فى مَكتبتى كتاب عن الغوص اسمه (مبادئ الغوص) سَوفَ يُعلمك كثيرًا .

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ خرائط فى المكتبة ، وصُور ومجلات عن البحرِ الأحمر فى أدراج مَكتبك ، ولديك أيضًا ذُكائِكَ ، أنتَ لم تُعد فى حاجةٍ إلى .

- لا . لا يا أُمِّي . لا تقولِ ذَلِكَ . أنا محتاجٌ إليك .

- وهُنَاكَ من هم فى حاجةٍ إليك ، أصدقاؤك وأختك .

- هَلْ كلامك هَذَا يعنى أَنّى لَنْ أراك ثانية ، وإنّى فَقَدْتُكَ إلى الأبد ؟

- إن كُنْتَ فَقَدْتَنى ، فَأنا واحدةٌ ممن حَوْلَكَ ، لا زال لديك الكثيرُ ، لديك ذكريات وحكايات وسمْعك وبَصْرُكَ . نعم الله عليك لا تُحصى فاشكره عليها ولا تَنظُرْ كثيرًا إلى مَا فَقَدْتَ فَيُعْظِمَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ .

وَتَذَكَّرْ حسنَ بحدِيثِ أُمّه حال آخرين ممن حوَله فَحمدَ الله . . ثُمَّ قَالَ :

- الحمدُ لله يَا أُمِّي ولكنى . . لم أَتعود .

– سَوْفَ أَكُونُ بِالْقَرَبِ مِنْكَ بِرُوحِي ، وَأَدْعُو لَكَ اللَّهَ فَقَدْ كُنْتُ دَائِمًا وَلَدًا مُهْذَبًا وَسَتَكُونُ رَجُلًا كَرِيمًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

– وَأَنَا كُنْتُ أَحَبُّكَ دَائِمًا وَلَنْ أُنْسَاكَ مَا حَيَّيْتَ ، وَسَادَعُو لَكَ اللَّهَ أَنْ تَسْعَكَ رَحْمَتُهُ وَغُفْرَانِهِ . لَكِنْ أَرْجُو أَنْ تَحْضُرَى وَلَا خَرَّ مَرَّةً بَعْدَ غَدٍ فِي يَوْمٍ مِيلَادِي . وَلَمْ تَرُدْ أُمَّهُ كَمَا أُرِيدُ مِنْكَ شَيْئًا أَتَذْكُرُكَ بِهِ .

فَقَالَتْ : كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ سَوْفَ تَطْلُبُ ذَلِكَ مِنِّي فَأَحْضَرْتُ إِلَيْكَ ، بَعْضًا مِنْ أَزْهَارِ الْجَنَّةِ خُذْهَا وَاحْتَفِظْ بِهَا حَتَّى نَلْتَقِيَ مَعًا فِي الْجَنَّةِ . أَخَذَهَا حَسَنٌ وَتَشَمَّمَهَا وَدَخَلَ بِسُرْعَةٍ ، لِيَحْتَفِظَ بِهَا فِي كِتَابِ الْحِكَايَاتِ وَالتَّوَادِرِ الَّتِي كَانَتْ تَحْكِي مِنْهُ أُمُّهُ الْحِكَايَاتِ الْجَمِيلَةَ .

خَرَجَ حَسَنٌ مِنَ الشَّرْفَةِ وَبَدَأَ يَعِدُّ أَدَوَاتِ الْغَوْصِ الْكِتَابَ وَالْخَرَائِطَ وَالصُّوَرِ وَالْمَجَلَّاتِ . وَلَمَّا رَأَاهُ وَالِدُهُ مَشْغُولًا سَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ ، فَحَكَى لَهُ حَسَنٌ عَنْ أَمْنِيَةِ أَصْحَابِهِ فِي الدَّارِ ، فَسَاعَدَهُ وَالِدُهُ فِي إِعْدَادِ الْخَرَائِطِ ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ وَفَهَمَهُ وَحَكَى لَهُ كَثِيرًا عَنْ الْغَوْصِ حَتَّى شَعَرَ أَنَّهُ تَحْتَ الْمَاءِ .

وَلَمَّا قَضَى حَسَنٌ وَقْتًا طَوِيلًا مَعَ وَالِدِهِ فِي هَذَا . قَالَ حَسَنٌ :

– أَبِي أُرِيدُ أَنْ أَبُوحَ لَكَ بِسِرِّ

– قُلْ يَا حَسَنُ

– إِنِّي أَرَى أُمِّي كَثِيرًا . . . وَلَكِنْ لِلْأَسَفِ لَنْ أُرَاهَا ثَانِيَةً ، أَنَا لَمْ أَقْصِدْ أَنْ أَخْفِيَ عَلَيْكَ وَلَكِنِّي خَشِيتُ إِنْ قُلْتُ لَكَ أَلَا أُرَاهَا ثَانِيَةً . . وَهَا أَنَا لَنْ أُرَاهَا ، فَقَدْ ذَهَبَتْ فَعَلًا .

فَقَالَ وَالِدُهُ :

– مَاذَا تَقُولُ يَا حَسَنُ ، كَيْفَ تَرَى أُمَّكَ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ؟

- نعم يا والدى كنت أراها . وتحدث إلى وأتحدث إليها، كما أعطتني هدية، لأتذكرها بها، بعض الأزهار. وجرى حسن ليأتى بكتاب الحكايات ولما فتحه أمام والده لم يجد به شيئاً .
فقال والدته :

- إنَّ ذلكَ كانَ خيالاً يا حسنَ ولا يُمكن أن يكونَ حقيقةً .
فسكتَ حسنَ وحزنَ حزناً شديداً فأرادَ والدته أن يُخرجه عن ذلكَ فقالَ :
احكْ لى يا حسنَ عما دارَ بينكما من حديثٍ .
قالَ حسنَ :

- إنَّنى أذكرُ آخرَ كلامِها لى عندما قالت (إن نعم الله عليك لا تُحصى، ولا تنظر إلى ما فقدتَ فيعظمُ أمامَ عينيكَ). وقالت لى أيضاً (إنك لم تعدُ فى حاجةٍ إلى).
فردَّ والدته :

- لو تذكروا حسنَ لقد حدثَ ذلكَ فعلاً . ولكنها قالتَ لك فى حياتها .
هل تذكروا . هل تذكروا يومَ أن طلبت أن تشتري لك سيارةً صغيرةً تعملُ بالكهرباءِ وكانت غاليةً، ويومها غضبتَ أنتَ كثيراً لأنك لم تستطع الحصولَ عليها يومها قالت لك أمك : إن نعم الله عليك كثيرة ولا تنظرُ إلى ما فقدتَ .
وفكرَ حسنَ قليلاً وتذكر - نعم يا أبى أذكر ذلكَ .

- وهل تذكروا متى قالت لك أنت لست فى حاجةٍ إلى، يوم أردتها أن ترسمَ لك سطحَ القمر، فقالت لك أنت غيرُ محتاجٍ لى فلديك صورٌ كثيرةٌ للقمر وسطحه ويمكنك أن ترسمه بنفسك . سكتَ حسنُ ثم قالَ :

- نَعَمْ يَا أَبَى . لَا بَدَّ أَنْ الْأَمْرَ اخْتَلَطَ عَلَى . لَكِنْ مَاذَا أَفْعَلُ لَقَدْ قُلْتُ
لِأَصْحَابِي أَنْ عِنْدِي أَزْهَارًا . عِنْدَمَا يَأْتُونَ فِي عِيدِ مِيلَادِي .

- لَا تَقْلُقْ يَا حَسَنَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَوْفَ يَرُونَ أَزْهَارًا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهَا .

وَفِي الْغَدِ . تَجْهَزُ بَيْتُ حَسَنَ لِمُتَقَبَلِ الْمَدْعُوبِينَ مَامَا نِعْمَةً وَالْأَصْدِقَاءِ وَعَلَى
وَالِدِهِ الزَّيْنَاتِ وَالْمَصَابِيحِ الْمُلَوَّنَةِ . ثُمَّ أَحْضَرَ إِلَيْهِ لِفَافَةً وَقَالَ لَهُ :

- افْتَحْهَا يَا حَسَنَ :

وَلَمَّا فَتَحَهَا وَجَدَ بِهَا أَزْهَارًا جَمِيلَةً يَانِعَةً وَكَأَنَّهَا مَقْطُوفَةٌ حَالًا مِنْ أَغْصَانِهَا
وَقَالَ حَسَنُ .

- مَا أَرَوْعَهَا أَشْكُرُكَ يَا أَبَى سَوْفَ يَعْجَبُ بِهَا أَصْحَابِي كَثِيرًا .

وَدَقَّتِ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ ، مُوعِدَ بَدْءِ الْإِحْتِفَالِ ، وَبَدَأَ الْمَدْعُوبُونَ يَتَوَالُونَ
وَحَضَرَتْ مَامَا نِعْمَةً وَالْأَصْدِقَاءُ ، وَقَدَّمُوا لِحَسَنَ بَعْضًا مِنَ الْأَزْهَارِ وَالنَّبَاتَاتِ
الَّتَادِرَةِ مِنْ حَدِيقَةِ الدَّارِ ، وَاحْتَفَلَ مَعَهُمْ حَسَنُ بِيَوْمِ مِيلَادِهِ مُقَدِّمًا لَهُمُ الْحُلُوفَ
الَّذِيذَةُ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَسَاعَدْتَهُ مَامَا نِعْمَةً فِي ذَلِكَ وَبَيْنَمَا يَعْمَلَانِ مَعَ قَالَتْ لَهُ :

حَسَنَ . لَقَدْ لَاحِظْتُ يَوْمَ مَجِيئِكَ إِلَى الدَّارِ أَنَّ بَكَ رَهْبَةً أَوْ خَوْفًا هَلْ مَازَلْتَ
تَشْعُرُ نَحْوَنَا بِذَلِكَ ؟

فَقَالَ لَهَا :

لَا . لَا أَبَدًا فَقَدْ أَصْبَحْتُ الْآنَ وَاحِدًا مِنْكُمْ ، وَأَشْعُرُ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ بِالْدارِ هُمْ
أَهْلِي وَإِخْوَانِي ، وَإِنْ كُنْتُ أَعِيشُ بَعِيدًا عَنْكُمْ .

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ :

كُنْتُ أَشْعُرُ بِذَلِكَ وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ بِأَذْنِي . وَتَبَسَّمتْ وَقَالَتْ :



أنت يا حسن نعم الابن .

استمرّ الاثنان فى الترحيب بالأصدقاء وخدمتهم وانضم إليهما الوالد وانتهى
الحفل السعيد، فصحب حسن أصدقاءه إلى الشرفة، ليروا المكان الذى رويت
منه أجمل الحكايات.

فَقَالَتْ رَوْضَة :

الله . لقد أمتعتنا جميعاً أيتها الشرفة وكأنك نافذة على العالم.

وَقَالَتْ زَيْنَب :

الفضل الكبير لوالدة حسن فقد أحبتها جداً لأنها أسعدتنا جميعاً
فَقَالَ حَسَنُ وَالْأَصْدِقَاءُ رَحِمَهَا اللَّهُ .

وَقَالَ سَامِحُ .

نحن جميعاً شاكرون لك يا حسن . فنحن لا نصدق أن يُصاحبنا أحد من
خارج الدار. فقد كنا فى عزلة شديدة ونادراً ما نخرج من الدار ونتحدث إلى
أى إنسان .

فَقَالَتْ أُمُّ نِعْمَةَ ضَاحِكَةً :

وهل نسيتم رحلاتنا .

فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ :

لا طبعاً يا أُمنا ولكننا نعى زيارة الآخرين لنا فهى نادرة . . ولكن الآن جاء
حسن وأخته عندنا فلا نشعر الآن بأننا وحدنا، كما أننا نزورهم أيضاً وأصبحنا
أصدقاء جداً .

ثُمَّ قَالَتْ مَامَا نِعْمَةً بينما تشير إلى شرفة حسن :

نَحْنُ لدينا شُرْفَةٌ كبيرة بالدار، فما رأيكم لو جعلناها مثل هذه الشُرْفَةِ تطلُّ
عَلَى العالمِ ؟

فَقَالَ حسن :

فكرة رائعة والشُرْفَةُ هُنَاكَ تَسْعُنَا جَمِيعًا .

وَقَالَ الوالد :

ولكم عندي حكاياتٌ وطرائفٌ كثيرةٌ، أحكيها لكم في يَوْمِ إجازتي
الأسبوعية.

هَلَّلَ الأصدقاءُ إسماعيلَ، سامحَ وزينبَ . تحيا الحكاياتُ . تحيا
الحكاياتُ . ومَرَّتِ الأيامُ سَعِيدَةً . وكَبُرَ الأولادُ . .



٢٠٠٠/١١٣١٣١	رقم الإيداع
ISBN 977-02-02-6034-7	الترقيم الدولي

٧/٢٠٠٠/٢٠

طبع بمطابع دار المعارف